القديسة آنا والعذراء والطفل واللعب مع الحمل

ليوناردو ديفنشي. ١٥٠٠م-١٥٠١

متحف أكاديمية فينيسيا.١٢,٢ صم /١٠صم أفقي.

التخطيط:

المقدمة.

١- تقديم الأثر الفني:التقديم المادي والقراءة الوصفية.

٢- تشكل الأثر الفني ومكوناته:

٢-١ رسم/ خط: الخاط مبحث وأداة.

٢-٢ التركيبة: - جغرافية الحيز التصويري:

❖ المستويات المختلفة في البناء.

❖ الخطوط المكونة للرسم.

٢-٣ .اللاّ مكتمل: "إسكيس" أو" إيبوش":

❖ **الجانب الرمزي والتأويلي والدلالات.**

المقدّمة:

كان محور" الثالوث القدسي"[1] في القرن السادس عشر موضوعا رائجا في الفنّ التشكيلي .ولكن ما قام به المصور الايطالي ليوناردو ديفنشي كان متفردا.فقد عمل على هذه الفكرة منذ سنة ١٥٠١ إلى حدود سنة ١٥١٩تاريخ وفاته.فأمضى بذلك الثلث الأخير من حياته في تنفيذ هذا الأثر الأيقوني.

١- تقديم الأثر الفني:

❖ **التقديم المادي:**

اخترت رسم القديسة آن والعذراء والطفل واللعب مع الحمل، لأنها كرسم تحضيري تعتبر من بين مجموعة رسومات أخرى تتبع التحول من النظام الأولي لتظهر تطور التفكير لدى الرسام للوصول إلى أيقونة سانتا آن. يرجح تاريخ انجاز هذا الرسم بين سنتي ١٥٠٠م /١٥٠١م. وتوجد بمتحف أكاديمية فينيسيا(البندقية).

أعتمد فيها دافنشي كمادة للعمل قلم رصاص والحبر البني و رصاص أسود،وكتقنية الرسم الخطي على محمل من الورق المقوى.وتضاربت الأقوال حول تحديد مقاسات الرسم فكانت مرشحة بين ١٢,٢صم عمودي على ١٠صم أفقي وبين ١٥,٢صم عمودي على ٨,٧صم أفقي.

❖ **قراءة وصفية للعمل:**

يتكون هذا الرسم التحضيري من ثلاثة شخوص وطفل وحيوان غريب في بناء تجمعت فيه العناصر المكونة للصورة بشكل ملفت. يحمل تكوينا أكثر حيوية ولكن ينم عن تردد ترجمته هذه الخطوط المنحنية والسريعة الحركة واللينة والمتنوعة الاتجاهات،مع كثافة في توزيعها وتجميعها وتشابكها لدرجة العتامة في بعض المساحات المؤثثة بها. فأصبح الرسم حاملا لثنائية المظلم والمضيء، حسب درجات ضوئية متفاوتة تراوحت بين الأسود والبني والرمادي المحايد، فصلت في مستويات بناء الصورة بين الرسم والخلفية.

٢- تشكل الأثر الفني ومكوناته:

٢-١ رسم/خط:الخاط مبحث وأداة:

---

[1] القديسة آن والعذراء والأبن المسيح

رسم تحضيري ثنائي الأبعاد. يتراكب الخط فيه عموديا ليحيلنا إلى بناء بيضاويا. يسلّط الضوء من خلاله على فكرة تجمّع أم العذراء والبنت والابن رغم أنهم من أجيال مختلفة.

ويتلاصق أفقيا ليوهمنا ببناء هرمي يتوسط رأس المسيح فيه نقطة تقاطع شكل الصليب ليترجم هذا الطابع القداسي والروحي للصورة.ويرتقي بالخط إلي قيمته في بناء أصل تكون العمل الفني النهائي.

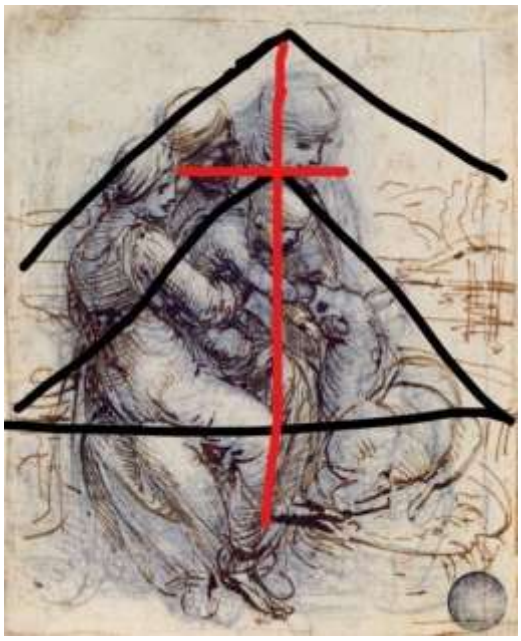

أما غياب تفاصيل البورتريه وبقية أطراف الجسم لا تفقد الرسم حرفيته،بقدر ما تجمح بنا إلى مخيلة الخاط لنحاول تتبع حركات يده ونستلهم مكنون إحساسه ومخيلته لما سيأتي فيما بعد. فشخصيات المشهد تتجمع تدريجيا نحو اليسار. تمسك القديسة آن العذراء في وضعيتين مختلفتين تربكنا حد تصور حضور شخصية رابعة في الرسم. إنه حوار الخط ومنتجه بأدوات يطوعها لتحدث هذا التناقض البصري ،بين أبيض وأسود وبني ورمادي محايد ،لنزيد قناعة بجمال خوض المغامرة مع الخط كقيمة تشكيلية تسبح بنا في عالم الخاط التجريبي. لنعيش رحلة ديفنشي في الثلث الأخير من حياته في أنشاء الصورة الأيقونة.فهذه الكتلة الخطية التي طوق بها الخاط محمله ليفصلها عن خلفيتها،ليست مجرد حافة منفصلة عن فضائها وإنما هي خطوط مقصود تموضعها ستحملنا لتركيبة يؤسس من خلالها الخاط مبدأ إنشائية الأثر التصويري.

٢-٢ التركيبة: جغرافية الحيز التصويري:

❖ **المستويات المختلفة في البناء:**

السؤال الذي كان يؤرق ديفنشي:"ما المكان الذي يجب أن نمنحه لهذه الشخصيات الأربعة؟"حسب "فنست دولفاين"[٢]، لما يحمله هذا العمل من دلالات رمزية معقدة.فطوال سنوات عمله العشرون تقريبا على هذا الموضوع ،لم تكن كثرة تجارب رسم الفكرة للجانب الكمي وإنما يبحث ديفنشي عن كيفية سحب هذا الطابع الروحي على اللوحة الزيتية النهائية.فلم تقف تجاربه عند الصور المنجزة على الكرطون بتمثلاته المختلفة ،في خاصية المحمل والأداة والبناء والاتجاهات والتقنية وحتى الأسلوب.

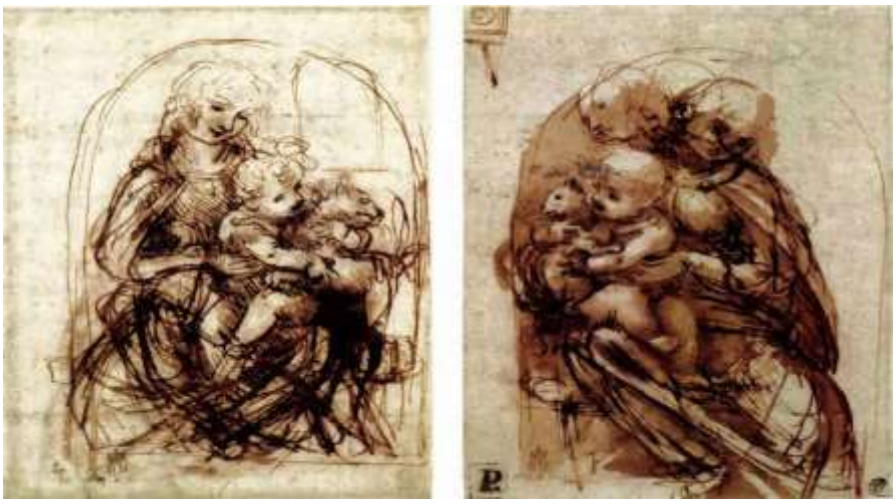

[٢] مختص في المفاهيم الفنية لعصر النهضة,هومسؤول أول عن أعمال ديفنشي في متحف اللوفر

بل غير تفاصيل الرسم حيث أستبدل يوحنا المعمّدان بالحمل، رمزا لأبن عم المسيح. وأيضا في اختياره للحمل تبشيرا بالتضحية. ولم يرض هذا ديفنشي بل كان يبحث بشكل ملح عن تموضع آنا والعذراء في علاقتهما بالطفل المسيح. فبعد أن كانت القديسة تحمل العذراء على ركبتيها والتي بدورها تحمل المسيح،إلا أن ديفنشي في هذا الرسم لا يزال يبحث في هذه العلاقة الثلاثية. رغم أن القديسة آنا توفت قبل أن يولد المسيح،لتصبح العلاقات رمزية تحيلنا إلى فكرة التوبة والقبول بحتمية قدر المسيح.ولا يزال الخاط بذلك يغوص بنا في تجربته الخطية،لنحاول تفكيك عناصر بناء الرسم.فهل يقف الرسم في حدود الإطار العام الحامل لنتاج وخلفية؟أم أن طريقة تموضع شخصيات الصورة سيأخذنا إلى عمق مقصود،في وجهة نظر مقننة بشروط المنظور الكلاسيكي؟.هذا ما سأحاول استخراجه في العنصر الموالي.

❖ الخطوط المكونة للرسم:

تنم حركة الخطوط عن ديناميكية في التنفيذ مما يحيلنا إلى هذا الجهد والبحث الملح لدى ديفنشي عن فكرة إنشاء اللوحة الزيتية التي يهدف لشحنها بما هو مقدس وروحاني.فأحدث حركية مقصودة رغم مستوى التجريبي بها، من خلال توجيهنا للنظر مع هذه الوجوه الحاملة لكثافة في الخط ،إلى يمين الصورة من الأسفل لنتفطن إلى العنصر الرئيسي لفكرة العمل وهو المسيح وتضحيته وقدره المحتوم.

لكن هل قيمة الرسم ومكوناتها الخطية الساحرة تقف في حدود التلميح والإيحاء لما سيتم إنشاؤه لاحقا؟.لو دققنا النظر جيدا لهذا الرسم في علاقته بالصورة الزيتية سنتفطن أن ما سبق شفع لما لحق من دقة وحرفية واستيطيقا ف"ليس غريبا عن الرسم الخطي أن يحمل استعدادات ضمنية متحفزة دوما للاستثارة التعبيرية".[٣]

التفت الخطوط وتناشدت لتشكل حوارا جماليا متنوعا يحملنا في موسيقى شاعرية تميز كل خط فيها بنوتة خاصة به. فتراه رقيقا ليّنا ينم عن عفوية وتلقائية.نتّبع انسيابيته بلون ترابي مبلل بقطرات الندى في مشهدا طبيعيا تخجل عناصره أن تتعرى رغم احتضانها لتفاصيل الخطوط الأخرى وتوصلها مع كل العناصر الخطية في الرسم .فتتشابك عموديا مع الخطوط السوداء في الجانب الأيسر من الرسم .وتعصف بنا رياحها فجأة لتنزلنا في حركة سريعة إلى الأسفل كأننا نقلد بذلك جلسة العذراء.ولكن حرفية الخاط في تطويع خطه ليحذق الرقص الحركي استدرجنا معه إلى مركز الصورة حيث الطفل المسيح. فكأنه يثبت عين الناظر إليه في حركة دائرية تقف بنا في تصور ديفنشي لشكل الجلسة النهائية للعناصر المؤثثة للصورة.

[٣] د.محمد الهادي دحمان.الرسم الخطي بين التمثيل والتعبير.أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه.

ولا تقف وظيفة حركة الخط عند هذا الحد بل تتجاوزها حد البحث في لحاف العذراء الذي قام أيضا برسمه بأساليب خطية مختلفة.

وفي توظيفه لهذا الخط الرقيق الحامل لشفافية ورقة مقصودة في البناء سيسمح لنا ديفنشي أن نتعمق قطريا في تفاصيل تقسيم الفضاء.فبين خط أسود عاتم وبين رمادي محايد كدخان حل بالمكان دون سابق إنذار.ومن له القدرة على التجلي ليوحي بدخان ضبابي يصبغ الأجواء قداسة غير الخط:"ولو كان الدخان أصلا فانه يجب أن يعبر عنه بالخط".[٤] إذن معجزة الخط لا تكمن في قيمة القلم أو الصورة النهائية بقدر ما تكمن في شخصية الخط وقدرة الخاط على الولوج بنا في

---

[٤] نفس المصدر٣

تفاصيل نراها بسيطة وعفوية ولكنها تبهرنا وتجبرنا على البحث أكثر لعل ما خفي كان أعظم.فالخفي هو الظاهر بوجود الآخر.ظهر الخط السميك الأسود في مساحات محدودة لكنها قاطعة كسيف حاد.انه تصريح الرسام الضمني لنسب وحدود إخراج الصورة في زاوية نظر موالية.وترتيب جديد للمسيح والحمل في علاقتهما بالعذراء.

نصل إذن في هذا المستوى إلى محاولة كشف ولو جزء بالمائة من أسرار استيطيقا الخط وسلطانه للوصول إلى إثبات قيمة الصورة النهائية التي تتربع بكل فخر على حائط متحف اللوفر.فالرسم

الخطي يحيلنا إذن إلى هذه القصديّة لشد انتباه المشاهد إلى المفهوم الأساسي للرسم وهي الفكرة السيميائية في مراحل بناء اللوحة.

٢-٣ اللاّ مكتمل: "إسكيس" أو" إيبوش":

❖ الجانب الرمزي والتأويلي والدلالات:

يحمل هذا الرسم دلالات رمزية معقدة تتطور عبر التطور الذي تشهده مراحل التجريب في التركيبة فكلما مر الوقت مع ديفنشي يزداد التأمل لدى القديسة آن.

وتتقلص عناصر بناء الصورة ليتجرد الرسم التجريبي من ديناميكيته وحركيته وانفعالاته. إن الاسكيس يحمل في طياته بداية الحكاية كجنين يتكون في سطح محمله لا يفقد من تركيبته نقطة حبر مقصودة أو جرة قلم متأنية أو نسب ضوئية تتلاحم لتغيب عنصرا ولو رمزيا،فهو نقطة انطلاق بدون حدود.لأنه إذا وجدنا البداية فلا وجود لنهاية إلا بقطع حبل الأفكار.فاللاّ مكتمل في الرسم الخطي يصبح قيمة تشكيلية تصل إلى حدود الإشكال في الرسم والتصوير.فينعكس الطابع الإيحائي والرمزي لهذه الرسوم والصور ليظل محل تساؤل وبحث رغم تنوع التجارب الفنية وتطورها.

خط الانطلاق رسم والعلامات متنوعة وشيقة،والأدوات تطيع خاطها لأبعد حد فكان اللقاء مثيرا،لا يزيدنا إلا ولعا للتعرف على بعض تفاصيل التأويلات الفلسفية والنفسية والكتابات

التاريخية. بالرجوع إلى بعض المصادر نلاحظ إن هناك من صبغ في تحليله لهذه التجارب المختلفة للوحة واحدة ،ومنها الرسم التجريبي الذي اخترته، أن ديفنشي بصدد رسم صور عالقة بذاكرته منذ طفولته،في علاقته بأمه.وهو الطفل اللقيط الذي عاش بعيدا عن أمه وأبيه .ففصل بدوره الابن عن حضن أمه في مرحلة أخيرة من الرسم. ورغم أن العمل بقي غير مكتملا، كأنّه إعلان عن هذا الحرمان الدفين عن حضن أمه. إلا أن هذا الطفل غير الشرعي أبن مجيد وهبته أمه للعالم ،موعود بالفن وبالبحث وبالعقاب.

لدرجة أن سيغموند فرويد في تحليله النفسي وصل إلي حد البحث في صفة المثلية الجنسية لدى ديفنشي،وعقدة ذكريات الطفولة في علاقته بأمه.فحتى اللحاف الذي يغطي ساق العذراء ذهب ديفنشي في رسمه وتلوينه الى تمثيل شكل النسر للإيحاء إلى قيمة الأمومة وما عاشه من نقصان وحرمان وحنين.[٥]

الخاتمة:

إذن من خلال هذه المحاولة في قراءة وتحليل هذا الأثر الفني ،نلاحظ أن ديفنشي كان يعتمد على التجريب والبحث المتواصل بالاعتماد على سلطان الخط وتطويعه بأساليب مختلفة،

[٥]صورة لفحات من كتاب حول ديفنشي

وبتقنيات متنوعة وبعلاقة حميمية عميقة الوصل.ينشد من خلالها الوصول إلى كمال اللا مكتمل . فكما بين لوماز، وهو الذي أكمل نسخة من لوحة العشاء الأخير يشير إلى" عدم قابلية ليوناردو لإكمال عمله مع الأخذ في عين الاعتبار أنه كان بطيء في عمله لكنه كان في ذات الوقت مهتما بالتفاصيل والتأمل في العمل،لذا فان سمات الهروب وعدم الاستقرار لم تؤثر كثيرا في علاقته بفنه".[٦]

البـــيبليوغرافيا:

قائمة المراجع:

الرسم الخطي بين التمثيل والتعبير.د محمد الهادي دحمان.

كفاح المثلية الجنسية شكرا دافنشي.مروة التيجاني.٢٠١٧

RMN/Thierryle Mage*

[٦]كفاح المثلية الجنسية شكرا دافنشي مروة التيجاني٢٠١٧
كتاب :التحليل النفسي والفن .سيغموند فرويد